من الحرب عسكريا وسياسيا عام ١٩٤٨ وبعد أن اختلطت جماعات الفلسطينيين المشردة بشعوب الدول العربية المجاورة بتركها ديارها اكراها او سلبا واضطهادا نجد ان هذه الهزيمة قد ولدت من خلال الجندي والضابط المهزوم في الحرب والفرد الفلسطيني المشرد شعورا ساحقا بالمرارة ومن هنا تفجر المعنى الحقيقي لكلمة (اسرائيل) على المستوى الشعبي بحيث أصبح هذا الطرح الجديد نوعا من الوعي عن قرب والذي راح بشكل غير مباشر يضغط على وجدان تلك الشعوب فأدى في المرحلة الثانية في مصر الى ظهور أول فيلم عن فلسطين في أول نوفمبر عام ١٩٤٨ الا انه حتى ظهور أول فيلم وبعد ستة أشهر ونصف من اعلان اسرائيل وهزيمة الجيوش العربية وتشرد الشعب الفلسطيني والذي كان بمثابة اعلان للوعي بالقضية لا يعفي السينما في مصر على الاقل من انها لم تتعرض من قريب أو من بعيد لهذه القضية الا في شخصية (الشامي) الشهيرة التي كانت تظهر بكل فيلم مصري كنوع من التسلية والكوميديا والتي برع فيها الممثل الراحل (بشارة واكيم) .. وحتى وان كانت هناك أسباب موضوعية لا تتعلق كما قلت بقضية فلسطين وحدها بل بقضية النضال الوطني المصري نفسه في علاقته بالسينما الا اننا وحتى يصبح كل شيء في موقعه الحقيقي لا بد من تقديم تلك الاسباب كاملة وهذه الاسباب تتلخص في أسباب مباشرة وغير مباشرة متداخلة .

الاسباب المباشرة

● الاستعمار والملكية والاقطاع — كان لرضوخ الامة العربية تحت وطأة الاستعمار الانجليزي والفرنسي — وبخاصة في مصر التي كانت مناط تلك الفترة — اثرا بالغا في عدم مقدرة السينمائي الملتزم بل ظهوره أصلا .. ان يتناول قضاياه الوطنية الملحة حتى على المستوى الاقليمي . ففي مصر مثلا كان اولى بالسينما ان تعالج نضال الشعب المصري من أجل التحرر من نير الاحتلال وكشف الفساد الطبقي وتحالف الملكية والاقطاع ضد الشعب المصري ومع ذلك باءت حتى المحاولات الاولى منها بالفشل . ففيلم العزيمة مثلا اخراج كمال سليم رائد الواقعية في مصر ، رغم انه اعظم افلام تلك الفترة منذ عرفت مصر السينما من حيث واقعيته وصدقه نجد انه فشل على المستوى السياسي حيث حل التناقض الطبقي بشكل ملائكي بعودة البطل الى العمل في حظيرة الباشا رغم زواجه من فتاة فقيرة مثله . ورغم هذا الحل المهادن للسلطة الرجعية الاقطاعية الملكية فأن واقعيته من طرف اخر تسببت في عدم تكراره لان السينما كان لا بد لها أن تمضي في واد اخر في مصر هذا الوادي كان مرتبطا بالضرورة بفكر القصر والبورجوازية والاحتلال والتي كانت مهتمة بالسينما باعتبارها ترف فاذا ما كان هذا على المستوى الداخلي في مصر فان قضية الشعب الفلسطيني في علاقات صراعه على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي والتي كان يمكن من خلالها تقديم درامات هائلة والتي كانت تتكاثر داخل الارض المحتلة يوما وراء يوم من حيث جسامة وبشاعة ما يجري فيها من قمع وارهاب وتنكيل وسلب ونهب وطرد واستيلاء على أرض وبيوت هذا الشعب تصبح بالنظرة الضيقة موضوعا محليا جدا قياسا الى نضال الشعب المصري غير المطروح أصلا على الشاشة المصرية بالنظرة الاعم والاشمل المستمدة اصلا من هذه النظرة الضيقة .

● ان السينما السياسية وبصفة عامة السينما كوسيلة فنية لها مقدرة هائلة على التأثير السياسي والفني لم تكن قد تبلورت بعد الا على المستوى الفني بدرجة محدودة وكانت السينما الهوليودية هي النموذج السائد وهو المعتمد على الابهار والمطاردات والمغامرات والقصص العاطفية التافهة ومن هنا كان مستحيلا على سينما